

دور الشعب الكردي

في
ثورة العشرين العراقية

سفر الخصال

ذُورُ الشَّعْبِ الْكُرْدِيِّ

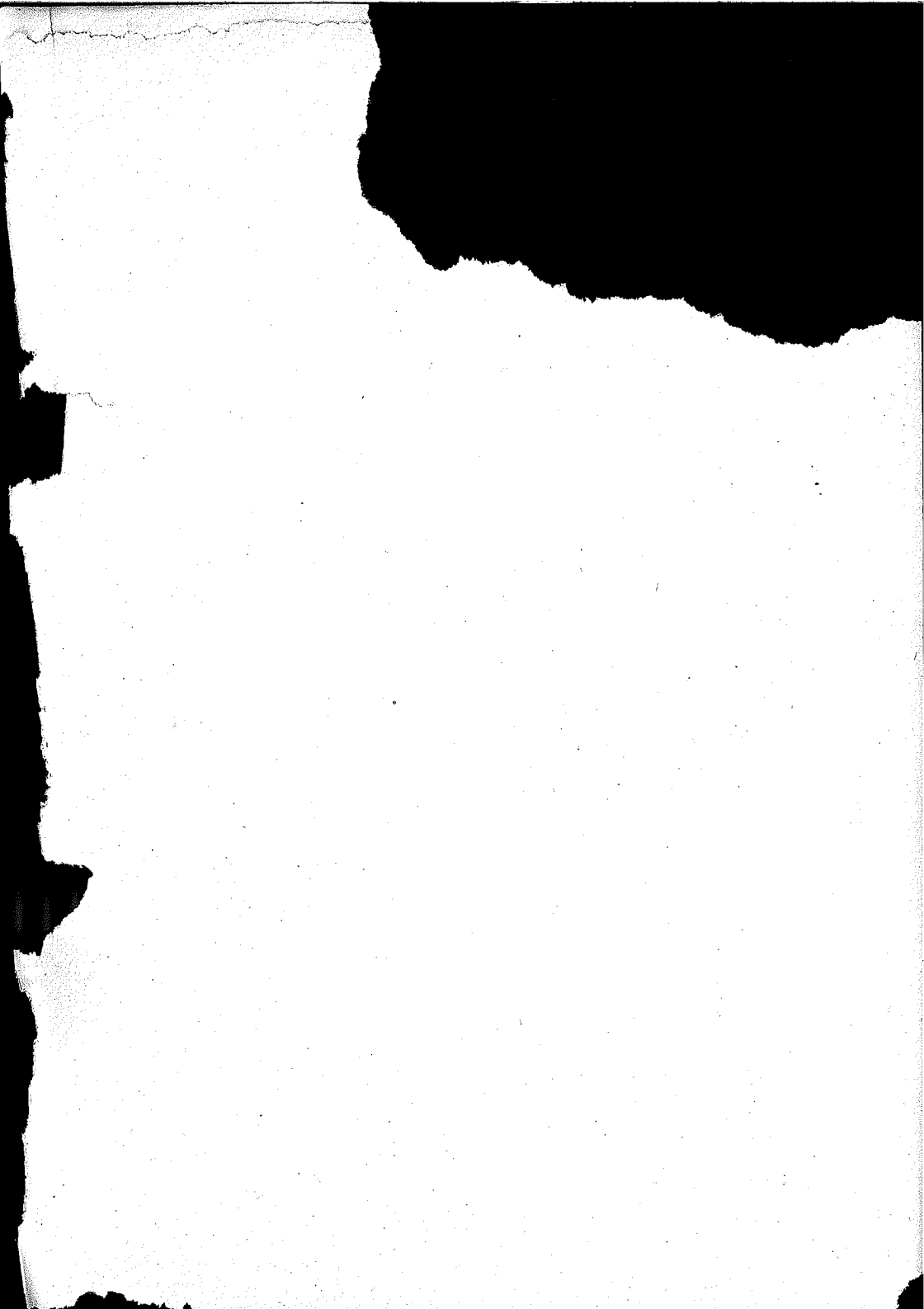
فِي
ثَوْرَةِ الْعِشْرِينَ الْعِرَاقِيَّةِ

تأليف

الدكتور كمال فطحي أحمد

مطبعة الجولاني

بغداد - ١٩٧٨



المقدمة

المقدمة

لم يحظ حتى اليوم حدث في تاريخ العراق المعاصر باهتمام المؤرخين والكتاب العراقيين ، وغيرهم ، مثلما حظيت « ثورة العشرين » (١) . فقد كرس المؤلفون العراقيون العديد من الكتب

(١) لا ينطبق مفهوم الثورة علميا على الاحداث التي شهدتها الساحة العراقية في صيف العام ١٩٢٠ . فالثورة لا بد لها من ان تستهدف احداث تغيير جذري في القاعدة والقامة ، أو تؤدي اليه، كأن تؤدي اقتصاديا الى تغيير العلاقات الاقطاعية باخرى راسمالية وتفضي سياسيا الى انتقال السلطة من الاقطاعيين الى البورجوازيين ، مما يشكل طفرة نوعية كبيرة الى أمام . والثورة الفرنسية الكبرى نموذج مثالي لهذا النوع من التحول . واهيانا تشكل حركة ما ، بالزعم من أهميتها وسعة نطاقها وعمق نتائجها وجسامة ضحاياها ونبيل اهدافها ، مجرد انتفاضة جماهيرية ، او حركة تحررية موجهة ضد مستعبد اجنبي ، وهي لاتقل اهمية عن الثورة ، بل تشكل في اغلب الاحيان مقدمة ضرورية لثورة لاحقة ، الا اننا لانستطيع وصفها بالثورة اذا توخينا الدقة العلمية . وان ما حدث في العام ١٩٢٠ نموذج لهذا النوع من التحرك الجماهيري الذي يصنفه الغربيون بالتمرد ، بينما اختارت له الجماهير العراقية اسم « ثورة العشرين » . وقد غدت الاخيرة مصطلحا متداولاً على الالسن وفي جميع المؤلفات العراقية تقريبا ، فيكون استخدامنا لها نابعا عن هذا الواقع .

والبحوث لدراسة أهم الجوانب السياسية لهذه الثورة (٢) . كما
 تشير عدد من المشاركين فيها أو ممن عاصروها مذكراتهم التي تناولت
 بدورها جوانب معينة من أحداثها (٣) . وفي السنوات الاخيرة جاء
 دور معالجة قضايا محددة تخص جانبا واحدا من جوانب الثورة من
 قبيل « صحافة ثورة العشرين » (٤) و « البطولة في ثورة
 العشرين » (٥) و « ثورة العشرين في الشعر العراقي » (٦) وما شابه
 تلك من مواضيع .

ومع ان جميع هؤلاء ، وغيرهم من المؤلفين العراقيين، بذلوا
 جهودا قيمة لتقديم صورة واضحة الى حد كبير عن أحداث «ثورة

-
- (٢) علي سبيل المثال : عبدالرزاق الحسيني ، الثورة العراقية
 الكبرى ، الطبعة الثالثة الموسعة ، صيدا ، ١٩٧٢ ؛ الدكتور
 عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة
 الثانية ، بغداد ، ١٩٧٤ ؛ الدكتور علي الوردی ، لمحات اجتماعية
 من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الخامس ، القسم الاول ،
 بغداد ، ١٩٧٧ ، القسم الثاني ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- (٣) علي سبيل المثال : علي آل يازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة
 العراقية ، بغداد ، ١٩٥٤ ؛ محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية
 العراقية ، بغداد ، ١٩٢٣ ؛ فريق المزهري آل فرعون ، الحقائق
 الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ .
- (٤) راجع : يعقوب يوسف كوربا ، صحافة ثورة العشرين ، بغداد ،
 ١٩٧٠ .
- (٥) راجع : عبدالشهيد الياصري ، البطولة في ثورة العشرين ،
 النجف ، ١٩٦٦ (٣٦٠ صفحة) .
- (٦) ابراهيم الوائلي ، ثورة العشرين في الشعر العراقي ، بغداد ؛
 ١٩٦٨ (١٩٠ صفحة) .

العشرين» ، فان مقالته جريدة «الاهالي» البغدادية بمناسبة صدور كتابين عن الثورة في العام ١٩٥٢ لا يزال يحتفظ بجانب غير قليل من قوته . فقد كتبت تقول : « انا بحاجة ماسة الى مؤرخ يتمتع بتفكير سياسي واحساس تأريخي يجعلانه ينظر الى الثورة العراقية نظرة العالم الى الظاهرة الطبيعية ، يخضعها لمنهج علمي واضح » (٧) .
 والواقع اننا نلاحظ تحيزا ملموسا في بعض الدراسات (٨) ، وسطحية واضحة في بعض اخر منها ، وتأكيذا على جوانب من العوامل التي هيأت ظروفها موضوعية لانفجار الثورة مع تجاهل مطلق للعديد من العوامل المهمة الاخرى ، في قسم ثالث من تلك الدراسات ، كما حاول البعض شد القاريء الى ما كتب عن الثورة برواية الطريف له من الاحداث . وفي ذلك يكمن أحد الاسباب الرئيسة لما تثيره كل اصدارة جديدة عن «ثورة العشرين» من جدل ومناقشات مسهبة (٩) .

(٧) «الاهالي» ، بغداد ، ٢٧ حزيران ١٩٥٢ .

(٨) من الجدير بالذكر ان بعض المؤلفات عن «ثورة العشرين» ظهرت بدافع الرد على اراء وردت في كتب لمؤلفين آخرين بصدد أحداث الثورة .

(٩) خير دليل على ذلك ما أثاره صدور الجزء الخامس بقسميه من كتاب الدكتور علي الوردي الذي تصدى لمناقشته عدد كبير من الكتاب سواء على صفحات الجرائد والمجلات ، أو على شكل كتب مستقلة (على سبيل المثال : مقال الاستاذ عزيز السيد جاسم ، - «الجمهورية» ، بغداد ، ٣٠ اب ١٩٧٧ ؛ الدكتور سليم علي الوردي ، علم الاجتماع بين الموضوعية والوضعية . مناقشة لمنهج الدكتور علي الوردي في دراسة المجتمع العراقي ،

الثورة (١١) أو في قمعها (١٢) •

وبالرغم من كل ذلك فإن صفحات مهمة من «ثورة العشرين» تبقى تنتظر البحث الجدي الذي لا بد منه حتى تستكمل أبعاد صورتها. ويأتي دور الكرد في الثورة على رأس المواضيع التي يجب معالجتها (١٣) لا من حيث مدى الاشتراك الفعلي لجزء مهم من أبناء الشعب العراقي في أحداث الثورة نفسها فقط ، بل كذلك من منطلق دوره الواضح في العملية الثورية التي اجتاحت مناطق مختلفة من العراق مع انتهاء الحرب العالمية الاولى ، أي عشية الثورة ، ومن حيث توفر أمثلة حية عن واقع المناطق الكردية اثر الاحتلال البريطاني بإمكانها اضاء بعد جديد على أهم عوامل استياء الشعب العراقي ككل • وأخيرا فإن توضيح الاشتراك الفعلي للاكراد في

(١١) على سبيل المثال الجزء الثاني من كتاب وكيل الحاكم المدني العام ارنولد ولسن الذي يحتوي على معلومات مهمة •
(A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920. A clach of loyalties, London, 1931).

(١٢) مثلا كتاب هالدين الذي كان قائدا عاما للقوات البريطانية العاملة في العراق •

(A. L. Haldane, The Insurrection in Mesopotamia, Edinburgh, 1922).

(١٣) جلب هذا الموضوع انتباهي منذ سنوات ، فحاولت معالجته في مناسبات مختلفة (راجع : «التساخي» ، ١ تموز ١٩٧٠ ، «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٧١ - ٧٩) • كما نشرت جزءا أساسيا من هذا الكتاب على شكل بحث مستقل في «مجلة المجمع العلمي الكردي» (بغداد ، المجلد السادس ، ١٩٧٨) •

«ثورة العشرين» يساعد ، بدوره ، على تضييد اراء الغريسن غير الموضوعية عنها باعتبارهم اياها «تمردا» أو رد فعل رجعا شرقيا على الحضارة الاوروبية ، أو نتيجة عوامل جانبية كاختلاف الدين وجهل الموظفين البريطانيين للغة العربية وما شابه (١٤) •

تكتنف دراسة هذا الموضوع صعوبات غير قليلة ، يأتي في مقدمتها عدم توفر المصادر لالقاء ضوء كاف على حجم وطبيعة الاحداث التي شهدتها كردستان أيام «ثورة العشرين» • فلم يتطرق الجيل السابق من المؤلفين الكرد الى هذا الموضوع الا في اطار محدود للغاية • كما تخلو المذكرات القليلة المنشورة للوطنيين الاكراد من معلومات تخص «ثورة العشرين» ، فيما عدا شذرات مهمة وردت في الجزء الثالث من مذكرات الاستاذ رفيق حلمي (١٥) • ومن المفيد أن نشير في هذا المجال الى حقيقة مثيرة وهي أن محاكم العهد الملكي أصدرت حكما بالسجن لمدة ثلاثة أشهر على عاصم الحيدري لمجرد قيامه بنشر

(١٤) هكذا قيمت الثورة من قبل ا. ل. هالدين (راجع الهامش رقم

١٢) و هـ . ا . فوستر و س . و . لونكريك وغيرهم (راجع :

H. A. Foster, The Making of Modern Iraq,

Oklahoma, 1935, PP. 79—88; S. H. Longrigg, Iraq

1900 to 1950, London, 1968, PP. 113—116;

(للتفصيل اكثر راجع : «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» ،

ص ٢٨-٣٠ ، ٦٨-٦٩) •

(١٥) رفيق حلمي ، يادداشت «المذكرات» ، باللغة الكردية ، الجزء

الثالث ، بغداد ، ١٩٥٦ •

مقال عن دور الكرد في «ثورة العشرين» (١٦) • أما المؤرخون الآخرون فقد تكلموا عن مشاركة المناطق الكردية في أحداث الثورة ومقدماتها اما بشكل عرضي (الاستاذ عبدالرزاق الحسني ، الدكتور عبدالله الفياض (١٧) وغيرهما) أو ضمن اطار الثورة العام (الدكتور علي الورددي(١٨)) أو من خلال البحث عن نشاطات المحتلين المتشعبة أيام الثورة (آرنولد ولسن ، هيبي ، هالدين وغيرهم (١٩)) أو ضمن الكلام عن نشاطات «جمعية العهد - فرع الموصل » عشية الثورة (٢٠) •

(١٦) راجع مجلة «هولير» (أربيل) ، باللغة الكردية ، أربيل ، العدد الثاني ، ايلول ١٩٧١ •

(١٧) راجع الهامش رقم ٢ •

(١٨) راجع الجزء الخامس ، القسم الثاني من كتاب الورددي •

(١٩) ترد معلومات ضافية عن ذلك ضمن البحث •

(٢٠) نشر انشط قادة هذه الجمعية (عبدالمنعم الغلامي ، محمد رؤوف الغلامي ، محمد طاهر العمري وغيرهم) معلومات قيمة عن النشاط السياسي في الموصل خلال الفترة القصيرة الواقعة بين انتهاء الحرب العالمية الاولى واندلاع الثورة ، يخص قسم منها الاكراد وما شهدته منطقتهم من حوادث متلاحقة • وقد وردت ضمن بحوث هؤلاء وثائق مهمة من شأنها القاء الضوء على خفايا كثيرة من الامور ، مما يساعد على التوصل الى استنتاجات موضوعية ضرورية (ترد معلومات ضافية عن مؤلفات هؤلاء ضمن البحث عن مقدمات الثورة وعوامل اقتضار الاخيرة على قطاعات كردية محدودة) • وفي الواقع ان نشاطات فرع الموصل لجمعية العهد بحاجة الى دراسة خاصة ، فقد تميز ذلك الفرع بتقييمات صحيحة ومواقف ثابتة تختلف الى حد كبير عن الخط التساومي السائد في الجمعية ككل ، وسوف نلاحظ جوانب من هذه الحقيقة ضمن المواضيع الواردة في الفصل الاول من هذا الكتاب •

دفع كل ذلك بعض المستشرقين الى الاعتقاد بأن الاكراد لم يسهموا اصلا في «ثورة العشرين» (٢١) ، وتطرق آخرون بشكل عابر الى اشتراكهم فيها ، ولكن دون أن يتجنبوا الوقوع في بعض الاخطاء الواضحة (٢٢) . ويوجد ايضا بين المؤلفين العراقيين من لم يعط موقع الكرد في «ثورة العشرين» حقه . ففي رأي فريق المزهري آل فرعون ان « الثورة سرت من لواء ديالى حتى وصلت الى لواء كركوك . . . ومن كركوك سرت نيران الثورة الى أربيل ، غير انه لم تقع مصادمات أو حوادث مهمة في هذين اللواتين» (٢٣) . وفي رأي الدكتور عبدالله الفياض أن دور «الاقسام الشمالية من العراق» في ثورة العشرين «كان ضئيلا أو معدوما» (٢٤) .

مما سبق يبدو واضحا أن على من يتصدى لدراسة موقع الكرد في «ثورة العشرين» بذل جهود كبيرة لجمع المعلومات المتفرقة التي

(٢١) راجع على سبيل المثال :

ن . و . اوهانيسيان ، نضال القوى الديمقراطية العراقية من أجل الغاء الانتداب الانكليزي (١٩٢٠ - ١٩٣٢) ، في كتاب «بلدان الشرقين الأدنى والوسطى» ، باللغة الروسية ، يريفان ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥ .

(٢٢) راجع على سبيل المثال :

١٠ ف . فيدجينكه ، نضال شعوب العراق من أجل الاستقلال والتقدم الاجتماعي (١٩١٧-١٩٥٨) ، رسالة باللغة الروسية لنيل شهادة الدكتوراه ، موسكو ، ١٩٦٧ ، ص ٦٩ .

(٢٢) فريق المزهري آل فرعون ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٢٣) الدكتور عبدالله الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

ورد معظمها بشكل عابر في الوثائق والصحف والمصادر الاخرى المتوفرة بعدد من اللغات . ومن الضروري جدا اجراء اتصالات مباشرة بأسرع مايمكن مع من بقي على قيد الحياة من اولئك الاكراد الذين كان لهم دور في أحداث العام ١٩٢٠ بشكل أو بآخر ، وهو أمر مهم للغاية ظهرت له بوادر جديرة بالتقدير (٢٥) . وبالرغم من الاهمية القصوى لهذا الامر بالنسبة للاحداث التي شهدتها المنطقة الكردية أيام «ثورة العشرين» ، الا انه مايزال يعتبر ضروريا كذلك بالنسبة للمناطق الاخرى من البلاد . فان بحثا ميدانيا أجراه أحد طلابي في منطقة السماوة (٢٦) استجوب خلاله عددا كبيرا من الفلاحين والعمال والكسبة والملاكين الذين اشتركوا في الثورة فعلا ، أفضى الى نتائج رائعة بالامكان عن طريق تعميقها وتوسيعها

(٢٥) استند الدكتور مكرم الطالبياني في كتابه «ابراهيم خان ثائر من كردستان» (بغداد ، ١٩٧١) الى أقوال شهود عيان في سرد العديد من الاحداث التي شهدتها منطقة كفري أيام « ثورة العشرين » . كما قدم السيد فاضل كريم في الحلقات ٤ و ٥ من سلسلة «خاتمة» «خاتمة» خلال ربع قرن ١٩٠٠-١٩٢٥ « («التاخي» ، ١٣ و ١٤ و ١٧ حزيران ١٩٧٣) معلومات مهمة عن وقائع منطقة خاتمة أيام الثورة استقاها بالاساس من

الذين قرعوا صورها «الذي» في زينة شعاعا (٢٦) هو رجاء أحمد بن «الذي» الزبيدي الطالب في قسم الاعلام بكلية الاداب (جامعة بغداد) الذي توسمت فيه البحث والكتابة مع اهتمام خاص بمواضيع «ثورة العشرين» ، وقد أدى ماكلفته به في شباط ١٩٧٨ على احسن وجه يبدو بعض نتائجه ضمن «البحوث الوارثة» في الفصل الاول من هذا الكتاب (في الهوامش) . والى جانب ذلك ، بحث ميداني عن «ثورة العشرين» (

لقاء الضوء على خفايا كثيرة وتجسيد قضايا اخرى تساعدنا في فهم أدق لظروف الثورة وعوامل انفجارها وبطولات رجالها من بسطاء الناس الذين لم يجلبوا نظر أي من المؤلفين ممن عالجوا مواضيع « ثورة العشرين » * وكما يبدو من بعض الحقائق الواردة في هذا الكتاب ومن المقال الطريف الذي اعده الدكتور صالح جواد الكاظم بمناسبة الذكرى الاخيرة لـ « ثورة العشرين » (٢٧) ، انه لا يزال يوجد مجال كبير لسبر أغوار الارشيفات الخاصة التي من شأنها تقديم الجديد الكثير عن أحداث الثورة وعواملها المحركة مع ما كان لمختلف الفئات الاجتماعية من دور في خلق وقائعها البارزة .

توجد ، الى جانب المصادر التي سبقت الإشارة اليها ، مراجع أخرى يمكن الوقوف من خلال المعلومات الواردة فيها على جوانب معينة من الوضع العام في المنطقة الكردية قبيل « ثورة العشرين » وفي أيامها ، منها جريدة « بيشكهوتن » (التقدم) التي أصدرها الانكليز باللغة الكردية خلال الفترة ١٩٢٠ - ١٩٢٢ في مدينة السليمانية (٢٨) . وتحتوي صحيفتا « العرب » و « العراق » البغداديتان على معلومات

(٢٧) راجع : « أيام من ثورة العشرين في بغداد » ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم ، - « العراق » ، بغداد ، ٢٩ حزيران ١٩٢٠ .

(٢٨) كان حاكم المدينة السياسي الميجرسون يشرف بنفسه على اصدار « بيشكهوتن » ويحرر قسما من مقالاتها باللغة الكردية . وقد صدر العدد الاول من هذه الجريدة في ٢٩ نيسان ١٩٢٠ .

ضرورة ورد معظمها ضمن البلاغات الرسمية التي أصدرتها سلطة
الاحتلال بخصوص العديد من الاحداث المهمة التي شهدتها المنطقة
في تلك المرحلة . وقد عالج العديد من المستشرقين السوفيت موضوع
«ثورة العشرين» ، مؤكدين بشكل خاص ، وبالاستناد الى مصادر
مختلفة ، على العوامل التي حركتها وتناسب القوى الطبقية فيها وعوامل
فشلها في تحقيق جميع أهدافها مع ابراز طابعها التحرري واهميتها
التاريخية (٢٩) . وقد تطرق عدد من هؤلاء ، ولاسيما الدكتور
ل. ن. كاتلوف في بحثين له (٣٠) ، الى موقع الكرد في الثورة ،
وبشكل خاص في المقدمات التي هيأت الطريق لانفجارها .

قبل أن آتي على نهاية هذه المقدمة أود أن اشير الى انني أقيمت
النصوص المنقولة من جرائد الثورة ومن البلاغات الرسمية المنشورة
في جريدتي «العرب» و «العراق» على وضعها الاصلي ، اسلوبا
ومضمونا ، حسب ما تقتضي الامانة العلمية .

(٢٩) من الجدير بالذكر ان المستشرق السوفيتي كوركو كرياجين
انجز اول دراسة علمية عن «ثورة العشرين» (راجع :
١٠ كوركو كرياجين ، حركة التحرر الوطني في المشرق
العربي . بلاد ما بين النهرين ، - «الشرق الجديد» ، الكتاب
الثاني ، موسكو ، ١٩٢٢) .

(٣٠) راجع : ل. ن. كاتلوف ، النضال التحرري الوطني للشعب
العراقي قبيل انتفاضة ١٩٢٠ . راجع كذلك الهامش رقم ١٠ .

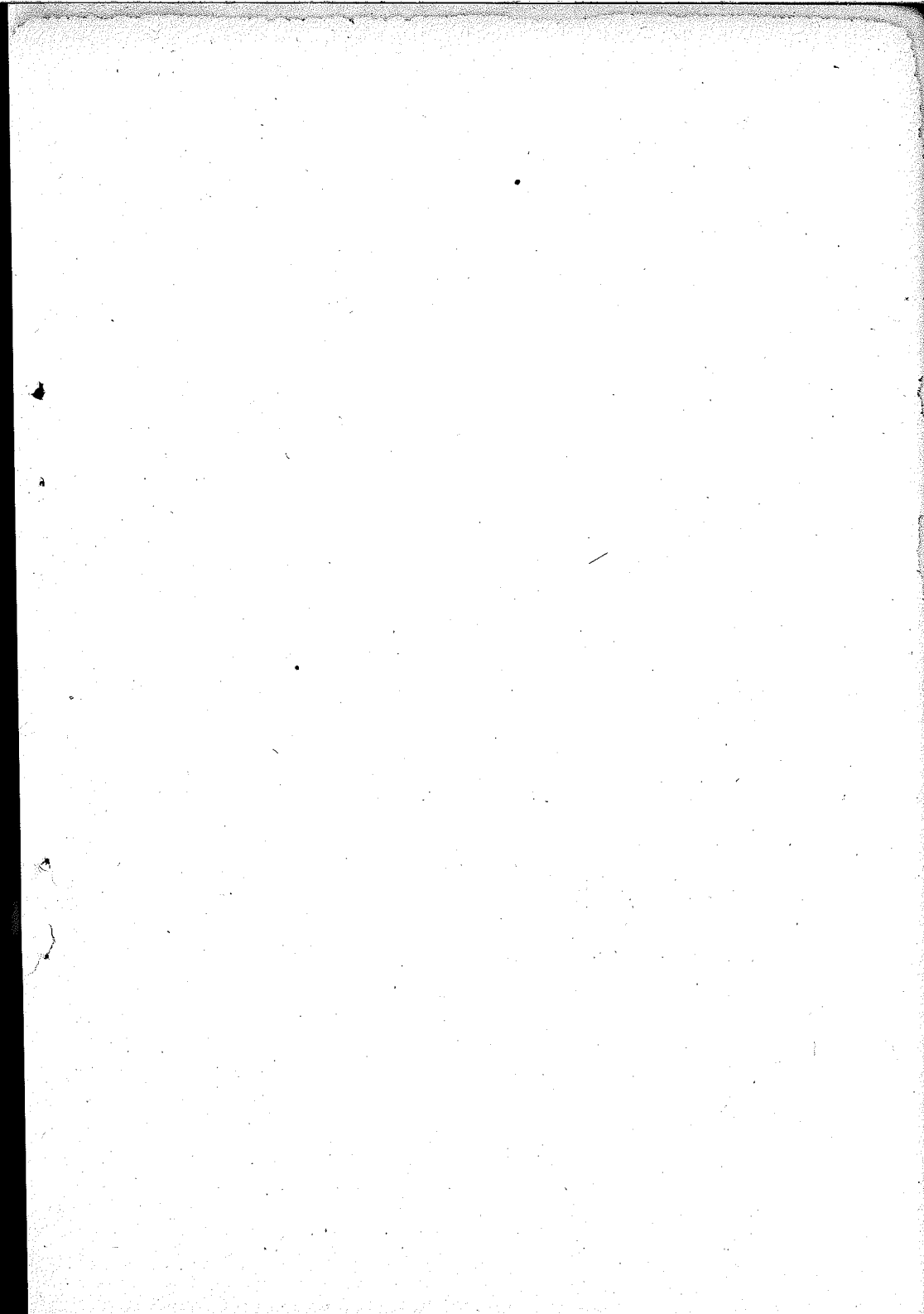
وفي الختام أقدم جزيل شكري للزميلة عالية سوسة وللأستاذ
نجدة فحجي صفوت لما قدما لي من وثائق لها علاقة بالموضوع ،
وللأستاذ نريمان مصطفى لما قدم لي من معلومات نادرة عن أحداث
منطقة كفري جمعها خصيصة من والده وأقربائه ومعارفه ممن عاصروا
تلك الاحداث او اشتركوا فيها فعلا (٣١) ، ولاخي الأستاذ محمد
الملا عبدالكريم المدرس لما بذل من جهود في مراجعته الكتاب وتصحيحه
واخراجه في صورته الراهنة ، وللعاملين في مكتبة المجمع العلمي
العراقي ، ولاسيما مديرها الاخ صباح ياسين نوح والاخ وليد الاعظمي
لما قدما من تسهيلات ومساعدات قيمة ، وللاخ كامل منصور
وعمال مطبعة الحوادث ، لما بذلوا من جهود لطبع الكتاب . كما
أشكر من صميم قلبي تلميذي المجد رجاء أحمد بهيش الزبيدي
الذي انجز باخلاص ودقة جديرة بالتقدير ماكلفته به من اجراء
اتصال مكثف بآباء فئات اجتماعية مختلفة من الجيل المعاصر لـ «ثورة
العشرين» في احدى أهم بؤرها .

وأخيرا ارجو أن أكون قد وفقت في القاء بعض الضوء على
صفحة اخرى من صفحات «ثورة العشرين» المشرقة ومعها جانب
من تأريخ الشعب الكردي المعاصر ، الموضوع الذي أكد العديد من

(٣١) ينوي الاخ نريمان اعداد بحث مستقل حول هذا الموضوع ،
وهو أمر ضروري من شأنه القاء أضواء جديدة على الاحداث
الثورية التي شهدتها منطقة كفري في العام ١٩٢٠ .

المثقفين العرب على أهميته وضرورة بحثه (٣٢) .

(٣٢) راجع التقرير الذي نشره الدكتور جليل كمال الدين عن كتاب «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» في مجلة «صوت الاتحاد [لسان اتحاد الأدباء التركمان]»، بغداد، العدد ٢٠، ١٩٧٨، ص ١٤. وقد أكد اخوان اخرون على ضرورة البحث في هذا الموضوع منهم الاستاذ عبدالرزاق الحسيني والدكتور عبدالقادر احمد اليوسف والدكتور هاشم صالح التكريتي والدكتور صالح جواد الكاظم. وقد ترك الدكتور الوردى أمر دراسة احداث كردستان العاصفة في تلك المرحلة الى اخوانه «الباحثين الاكراد» (راجع: الدكتور علي الوردى، المصدر السابق، الجزء الخامس، القسم الثاني، ص ٦٥).



الفصل الأول

« ثورة العشرين » - عوامل ومقدمات

كانت «ثورة العشرين» ، كأى حدث تاريخي معاصر كبير ، نتيجة منطقية لتفاعل عدد كبير من عوامل داخلية اساسية وخارجية مساعدة دفعت التناقض بين الشعب العراقي والمحتل البريطاني الى طور الانفجار الذي توفرت أسبابه (١) . والعوامل الداخلية التي نحن بصددھا كانت سياسية واقتصادية واجتماعية نجمت عن التغييرات الكبيرة التي طرأت علیھا مع استكمال الاحتلال البريطاني للعراق . فان الوعي السياسي لدى طبقات وفئات اجتماعية عراقية معينة قد بلغت قبل الحرب العالمية الاولى مستوى التقييم الصحيح لمفهوم الاستقلال ، مما انعكس في النشاطات السياسية التي بدأت تتبلور

(١) التناقض بين الشعب والمحتل من الامور الحتمية ، الا انه لا يؤدي ، بالضرورة ، الى الانفجار دائما ، ذلك لان كل فورة سياسية تحتاج ، كظواهر الطبيعة نفسها ، الى توفر شروط محددة تحول التراكمات الكمية الى تغيير نوعي .

بشكل ملموس في عصر نهوض آسيا ، ولأسيما مع انتصار ثورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ • فقد اشترك عدد غير قليل من العراقيين بحماس في تأسيس الجمعيات والمنظمات والمؤتمرات السياسية والادبية في الخارج ، بل ان بعض المثقفين العراقيين المقيمين في استانبول هم الذين بادروا الى تأسيس عدد من الجمعيات التي ظهرت قبل الحرب (٢) • وقد ربط الوطنيون العراقيون ، مثل غيرهم ، تحقيق الاستقلال بانهايار الامبراطورية العثمانية ، وهو أمر غداه الحلفاء بشكل ذكي ، لاسيما من خلال عهودهم ووعودهم الكثيرة فيما يخص مستقبل المنطقة • ولكن سرعان ما انكشفت النوايا الحقيقية ، وتبين ان الذين حلوا محل العثمانيين هم أشد مكررا وأكثر تمسكا بأرض الآخرين وثوراتهم ، مما أقنع الوطنيين بأن لا بد من النضال من أجل الاستقلال بعد ان بدأت «مخالب الانكليز» تشب «في جسم الامة العراقية الحية» حسب تعبير «الاستقلال» احدي جريدتي الثورة (٣) التي زينت صدر الصفحة الاولى من عددها الاول حتى آخر عدد صدر منها بشعار أن «لا حياة بلا استقلال» لانها ادركت ان «الاستقلال والحرية» هما «اساس النجاح وقاعدة عمران

(٢) مثل داود الدبوني الموصللي الذي اسس في استانبول جمعيتي «العلم الاخضر» و «اليد السوداء» •

(٣) «الاستقلال» ، النجف ، العدد السابع ، ٢٩ محرم ١٣٣٩ ، ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ • (في الهوامش القادمة نشير الى مكان صدور الجريدة ، مدينة النجف ، وذلك لتفادي الالتباس بين هذه الجريدة و «الاستقلال» البغدادية) •

البلاد» (٤) • وقد جاء التعبير أبلغ حتى من ذلك على لسان «الفرات»،
جريدة الثورة الاخرى ، التي كتبت تقول :

« وقد نفذ صبر الامة مما تلاقيه كل يوم من جور حكام
الاحتلال ، ولاسيما في هذه الايام التي ضج فيها العراق وملاً دوي
احتجاجاته الآفاق تحقيقاً لمبدأ (تقرير المصير) وتأيداً للاستقلال
التام » ، ذلك لانه « أدرك العراقيون أن المطالبات القانونية والمظاهرات
السلمية لاتجدي نفعاً ولا تسترجع حقاً ، ولاسيما ان صدى الاحتجاج
العادل لاينعكس الى الاندية السياسية في العالم لاستئثار الانكليز بكافة
أدوات الوصل في البلاد » (٥) •

ومع ان الجيش الرئيس للثورة لم يبلغ من الوعي مستوى يقيم
كل ، أو معظم أفراداه مفهوم الاستقلال كما يجب ، الا انه لم يصعب
عليه فهم ضرورة التغيير السياسي (٦) ، أو على الاقل ازاحة كابوس
الاحتلال الذي جلب له ظروفًا اقتصادية اسوأ من السابق (٧) • أما

(٤) ورد ذلك في افتتاحية العدد الخامس من الجريدة («الاستقلال» ،

النجف ، ٢٥ محرم ١٣٣٩ ، ٨ تشرين الاول ١٩٢٠)

(٥) «الفرات» ، النجف ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤)

اب ١٩٢٠) •

(٦) انعكس ذلك بشكل او باخر في اهزوجات الشعراء الشعبيين

كما نبين ذلك ضمن خاتمة هذا الكتاب •

(٧) لعبت نتائج الحرب العالمية الاولى دوراً أساسياً في تعقيد

الوضع الاقتصادي العام في البلاد وفي تجسيد الآثار السلبية

لسياسة الانكليز في هذا الميدان •

القوات الاجتماعية الأخرى التي جعلت من الاستقلال شعارها الرئيس
للتضال أيام الثورة فقد أدركت ضرورة تعميم هذا المطلب السياسي
الملح بشكل يمتد مفعوله الى الجميع • وفي ما يلي نص ما جاء في
أحد مناشير الثورة بهذا الصدد :

« ان الوطن الذي الزم كل فرد منكم بالدفاع عنه يلزمكم ايضا
بأن تراعوا الشروط التالية :

- ١- يجب على كل رئيس قبيلة ان يفهم كافة أفرادها ان
المقصود من هذه الثورة انما هو طلب الاستقلال التام ،
- ٢- ان يهتف للاستقلال كل في ميادين القتال » (٨) •

هذه المسألة كانت عامة بالنسبة للجميع • فان الاكراد لم يعانون
بدورهم القليل من عهود ومواثيق المسؤولين الانكليز ، وغيرهم ،
منذ أن دخلت القوات البريطانية المناطق الكردية في السنة الاخيرة من
الحرب • فان تلك العهود ، كما يقول المؤرخ البريطاني المعروف
آرنولد توينبي ، ما كانت تخص الاكراد أقل من غيرهم (٩) •

لم يلعب العامل الاقتصادي دورا قليلا في اثارة حفيظة الشعب

(٨) نص المنشور راجع : عبدالرزاق الحسيني ، الثورة العراقية
الكبرى ، ص ٢١٥ - ٢١٦ • وقد ورد فيه ما يبرز وجهها مشرقا
من وجوه «ثورة العشرين» •

(٩) راجع :

((Survey of International Affairs, 1934)) , London,
1935, P. 123.

العراقي ، ولاسيما طبقاته المسحوقة ، ضد الانكليز . وهو أمر لم يوله معظم الباحثين عن «ثورة العشرين» ما يستحق من اهتمام ، بل تبدو المغالطات واضحة في دراسة بعضهم لهذه النقطة الحساسة . وكما لا يخفى فان للعامل الاقتصادي تأثيره في كل تحرك جماهيري من النوع الذي حدث في العراق عام ١٩٢٠ ، وذلك بغض النظر عن التعبير الظاهري لهذا العامل على شكل مطالب وشعارات أو عدمه . فمن قوانين الحياة نفسها ان الوضع الاقتصادي السيء يخلق لدى الفرد وضعاً نفسياً يجعله اكثر استعداداً للتضحية ولتقبل افكار المعارضة والاشترك في الاعمال التي تعبر عن الاستياء العام ، والعكس صحيح مطلقاً . ومن هذه الزاوية يجب تقسيم دور العامل الاقتصادي في « ثورة العشرين » .

تشير جميع المصادر والوثائق والتقارير الرسمية ، وغير الرسمية ، الى حقائق توضح مدى تردي الوضع الاقتصادي في العراق خلال سنوات الحرب العالمية الاولى وبعدها مباشرة . ولا يقع وزر كل ذلك على الانكليز بالطبع ، الا أن الناس لا يلقون تبعه بسوء وضعهم الاقتصادي ، عادة ، الا على السلطة القائمة فعلاً . ثم ان المحتلين انفسهم قد تبنا سياسة اقتصادية مجحفة لم تنجم عن طبيعتهم الاستغلالية حسب ، بل وايضا عن التردى الفظيع الذي انتاب الحياة العامة ، لاسيما الاقتصاد البريطاني ، من جراء الحرب . فقد كلفت الحرب العالمية الاولى انكلترا (بدون الهند) حياة حوالي ٧٥٠ ألف

جنيه استرليني (١٣) ، مما يزيد على خسارة فرنسا المادية بمقدار ٧٠٪ . وقد تقلص الانتاج الصناعي البريطاني في ١٩١٤ - ١٩١٨ بمقدار الخمس . اما القروض المترتبة على الدولة فانها بلغت في العام ١٩١٩ حوالي ٧٨٢٩ مليون جنيه استرليني مقابل ٦٥٠ مليون فقط في العام ١٩١٤ . ومن الجدير بالذكر ان نصيب الولايات المتحدة وحدها من هذا القرض قد بلغ ٨٥٠ مليون جنيه استرليني بعد ان كانت في يوم من الايام هي التي تستقرض من انكلترا . وفي الوقت نفسه ، ومن جراء كل ما سبق تقلصت صادرات البلاد ، عصب حياتها الاقتصادية ، بشكل خطير ، بحيث انها لم تبلغ في العام ١٩١٩ اكثر من ٤٥٪ من صادراتها قبل الحرب (١٤) .

في مثل هذه الظروف حاول المستعمرون الانكليز جني اكبر الارباح الممكنة من الاقطار التي فرضوا عليها سيطرتهم بالقوة ، وصرف أقل ما يمكن على اجهزة ادارتهم وقواتهم الموجودة في تلك

(١٣) تقدر اضرار الحرب بالنسبة لجميع البلدان بحوالي ٣٣٨ مليار دولار (راجع :

W. Z. Foster, Outline Political history of the Americas, New York, 1951 (the Russian ed., M., 1943), P. 497.

(١٤) راجع :
 ب . ف . كورفيج ، انكلترا ، «تاريخ العالم» ، باللغة الروسية ، الجزء الثامن ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٢-٣٠٣ ؛
 مجموعة مؤلفين ، بريطانيا العظمى ، - «الانسكلوبيديا التاريخية السوفيتية» ، الجزء الثالث ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٨-١٩٩ .

الاقطار لعجز دافع الضريبة البريطاني عن تحمل عبء اكبر مما كان يتحمل ، فقد بلغ استيواؤه حد خلق جو سياسي متوتر في الداخل • وفي ضوء هذا الواقع تصرف المحتلون في العراق ، بان حاولوا القاء ثقل مصروفات ادارة الاحتلال وقواتهم الكبيرة على العراقيين ، فلاجأوا الى شتى الوسائل واغربها بهدف ضمان اكبر قدر من المدخولات لميزانية السلطة المحتلة • فحسب المعلومات الواردة في الوثائق البريطانية الرسمية ارتفعت الضرائب المباشرة في المناطق المحتلة ، في العام ١٩١٨ - ١٩١٩ ، بمقدار ١ - ١٦٥ مرة قياسا الى ما كانت عليه في العام ١٩١١ - ١٩١٢ • وارتفعت في السنة المالية التالية (١٩١٩ - ١٩٢٠) بمقدار اكثر من مرتين (١٥) • وتتجسد هذه الصورة اكثر اذا علمنا ان واردات الادارة امدنية البريطانية في العراق خلال ١٩١٧-١٩١٨ بلغت ١٥٢٥ لك (١٦) روبية جاء

(١٥) للتفصيل راجع :

((Civil Commissioner of Mesopotamia. Review of the Civil Administration of Mesopotamia presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty)) , London, 1920, P. 118;

ل.ن. • كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية التحررية ، ص ٦٩ ، الدكتور محمد سلمان حسن ، طلائع الثورة العراقية • العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الاولى ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢١ • (حسب المعلومات الواردة في الكتاب الاخير بلغ مجموع الدخل الحكومي الزراعي في العهد العثماني حوالي ٦٩٠ الف دينار سنويا ارتفع الى مليون و ٣٠٠ ألف في العام ١٩١٩) •

(١٦) « لك » كلمة فارسية أو هندية الاصل تعني مئة الف • يعادل اللك الواحد مئة الف روبية أو ٧٤٤٨ جنيهها اسرلينيا •

اكثر من نصفها (٧٩٥ لك) من الضرائب الزراعية والبقية تقريبا (٦٧٥ لك) من الرسوم ، بينما أصبح الخط البياني للواردات نفسها في العام التالي على هذا النحو : بلغت الواردات ٢٩٣ لك جاء اكثر من ثلثها (٢١٧٥ لك) من الضرائب الزراعية ، بينما انخفض المقدار النسبي والمطلق للرسوم المجبة بحيث بلغت هذه المرة ٦٥ لك فقط ، علما بان انتاج الحبوب قد هبط في العام ١٩١٨ الى ربع ما كان عليه في العام ١٩١٣ (١٧) . وتتجسد الصورة نفسها اكثر من خلال ما ذكره أحد الموظفين الاداريين البريطانيين الذي اعترف بان معدل ما كان يصيب الفرد العراقي من الضرائب المجبة بلغ صنف ما كان يصيب الفرد في مقاطعة البنجاب الهندية التي مضت حوالي مئتي عام على الوجود البريطاني فيها . والابلغ من ذلك ما نشرته جريدة ال « ديلي ميل » في عز أيام الثورة بهذا الصدد . فقد كتبت الصحيفة الانكليزية في عددها الصادر يوم ١٢ تموز ١٩٢٠ تقول ما نصه :

« كشفت ميزانية العراق للسنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ عن ضرائب بلغت خمسة ملايين ونصف المليون جنيه استرليني ، اي ما يعادل جنيهين للفرد الواحد من السكان . وفي قطر شرقي تعتبر هذه الضرائب شيئا لم يسمع به تقريبا . ففسي بريطانيا العظمى ، التي كانت يوما ما غنية جدا ، كانت كل ضريبتنا قبل الحرب ثلاثة جنيهات

(١٧) الدكتور محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

ونصف الجنيه فقط للفرد الواحد « (١٨) •

مما سبق لا يبدو غريبا ان المؤسسة الوحيدة التي ظلت تعمل ضمن الادارة المدنية البريطانية طيلة سنوات الحرب كانت ... مديرية الواردات !! •

الى جانب هذه الامثلة العامة التي امتدت اثارها لتشمل جميع الفلاحين العراقيين ، فان بالامكان ايراد أمثلة خاصة عانت منها المنطقة الكردية وحدها ، او أكثر من غيرها ، وذلك بحكم الظروف الطبيعية التي تميزها عن بقية المناطق • فان الانكليز ، مثلا ، كانوا يفرضون على الأراضي الاميرية في بعض المناطق الكردية ضرائب تفوق بمقدار ١٦٪ الحد الاعلى المقرر قانونا بالنسبة للمناطق المطرية (١٩) • وقد اتخذ هذا الموضوع بعدا أبعد بالنسبة لزراعة التبغ الذي اولى الانكليز انتاجه اهتماما خاصا منذ الايام الاولى لاحتلالهم للمنطقة • فقد استقدموا الخبراء من الخارج لدراسة مشاكله وسبل تطويره ، منهم الخبير الامريكاني شتراوس (H. P. Strause) الذي دعي الى العراق في مطلع العام ١٩٢٠ • كما اعدوا التقارير المفصلة للغرض نفسه ، ومن أجل كل مايتعلق بالضرائب المفروضة على انتاجه وتسويقه ، ودشنوا الخطوات الاولى

(١٨) راجع : الدكتور صالح جواد الكاظم ، عن ثورة العشرين وبعدها القومي ، - « العراق » ، ٣٠ حزيران ١٩٧٧ •
(١٩) راجع :

((Report by His Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April 1923 — December 1924)) , London. 1925, P. 138

على طريق انحصاره (٢٠) مما أثار استياء كبيرا بين زراع التبغ فيما بعد . وقد تمخضت عن كل ذلك ضرائب جديدة لم يعهدها زراع التبغ من قبل ، فانهم أصبحوا ملزمين بعد الاحتلال بأن يدفعوا عن كل كيلوغرام من متوجهم ضريبة تزيد بمقدار ١٥ مرة عما كان يدفعه اسلافهم في العام ١٩١١ (ارتفعت هذه النسبة في بداية الثلاثينيات الى ١٥٠ مرة) (٢١) ، مما كان يشكل عبئا ثقيلا ، خاصة وان التبغ كان يشكل آنذاك دعامة الحياة الاقتصادية لمعظم المناطق الكردية .

وازداد الضغط بنفس المستوى تقريبا على أصحاب المواشي والحيوانات التي كانت تشكل بدورها دعامة اساسية لحياة الفلاح الكردي . وهنا ايضا لم يقتصر الامر على رفع الضرائب المفروضة على أصحاب الحيوانات بشكل ملموس حسب ، بل أن المسؤولين الانكليز قد اعدوا بعد الاحتلال مباشرة تقارير مفصلة عن دقائق كل مايتصل بالثروة الحيوانية للمنطقة ، لغاية تسجيل كل ما يمتلكه الفرد

(٢٠) للتفصيل حول الموضوع راجع : المركز الوطني للوثائق (في الهوامش القادمة م . و . و) ، الملف رقم ١/١٨ (التبوغ في الموصل ، كركوك والسليمانية) ، ١٩١٨ - ١٩١٩ : الملف رقم ١٠١٢ للعام ١٩٢٠ (التبوغ) .

(٢١)

((Report by His Majesty's Government on the administration of Iraq for the period April 1923 — December 1924)) , P. 110; ((The Iraqi Directory. A general and commercial Directory of Iraq, 1936)), Baghdad, 1936, P. 225.

في بعض المناطق (٢٢) • ومن يرجع الى التقارير والمراسلات الرسمية التي تعود الى تلك الفترة ير كيف ان الانكليز بدأوا بدراسة كل مايتعلق بمختلف منتجات البلاد ، استخداماتها ، شبيهاها في الخارج ، كمية المنتج منها سنويا ، صادرات الهند او وارداتها منها وماشابه تلك من مواضع (٢٣) • ولم يعكس ذلك الواقع الحضاري للمحتل الجديد بقدر ماكان يعكس اهتمامه لضمان الموارد الضرورية لادامة ادارته واعماله في البلاد ، مما وقع ثقله على الفئات الاجتماعية الكادحة من الشعب العراقي •

ومما كان يزيد من ثقل الضرائب على الناس ان بعض حكام المناطق الكردية كانوا يضعون بأنفسهم تعليمات خاصة بقصد رفع واردات الخزينة • ففي السليمانية ، مثلا ، أصدر الميجر سون لائحة خاصة مؤلفة من ٢٣ بندا نشرت على شكل ملحق مستقل للعدد الثامن من جريدة «بيشكهوتن» (٢٤) • وقد نص قسم من مواد هذه اللائحة

(٢٢) راجع مثلا: م. و. و. ، رقم الملف ١٢/٨ (١٩١٨ - ١٩١٩)؛ 51/3, P. II, 1919 (Plough Cattle — Sulaimaniyah, Kirkuk and Mosul).

(٢٣) راجع مثلا: م. و. و. ، رقم الملف 168/58 (Agriculture in Erbil, 1919) ; 168/57 (Irrigation Schemes for Kurdistan, 1919) ; 21/D (Agriculture — Arbil Division, 1920).

ومن الطريف ان نذكر ان الملف الاخير مخصص لموضوع انتاج (السماق) في المنطقة الجبالية •

(٢٤) « بيشكهوتن » ، ١٧ حزيران ١٩٢٠ •

على أن يكون بعض الضرائب الزراعية نقدية ، ونصت مواد أخرى منها على ان تكون الضريبة المفروضة على المتوج في الاراضي الاميرية والسنية ٤٠ ٪ ، مما كان يشكل نسبة عالية للغاية (البندان ٦ و ٧) • وبموجب البند العاشر الزم اصحاب الاشجار بدفع روية واحدة عن كل شجرة تبلغ ٥ سنوات من العمر ، وحوالي ١٥ روية عن الشجرة التي عمرها سبع سنوات أو اكثر • وقد كانت هذه النسبة أعلى بكثير مما فرض على اشجار النخيل في الوسط والجنوب • وقد تضمنت اللائحة نفسها بنودا جعلت من التهرب عن دفع الضريبة أمرا صعبا للغاية ، واخرى نظمت أمور تخمين الحاصل بشكل دقيق لم تر المنطقة لها مثيلا في السابق (البند ١١-٢٣) • وبهذا الاسلوب تمكن سون من ضمان اكتفاء ذاتي لمنطقة السلیمانية التي لم تكلف خزينة سلطات الاحتلال في عام الثورة فلسا واحدا ، مع انه صرف على الامور العسكرية والبوليس وبناء الطرق والجسور الضرورية للعمليات العسكرية حوالي ٢ مليون روية ، فقد بلغت واردات المنطقة في السنة المذكورة ٣١٧٨٩٨٠ روية وشكلت مصروفاتها المبلغ نفسه (٢٥) •

كان على الفلاح العراقي ان يؤدي للمحتلين الانكليز ما يؤديه للعثمانيين من أعمال سخرة او اعمال الزامية لقاء اجر قليل ، مما كان يعني ابعاد الوف مؤلفة من الفلاحين وغيرهم من اعمالهم الاصلية • و باعتراف المسؤولين البريطانيين انفسهم لم تعدم حالات كانوا يلجأون

(٢٥) راجع التقرير الخاص بواردات ومصروفات السلیمانية في « بيشككوتين » ، ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ •

فيها الى استخدام القوة لجمع الناس من المناطق النائية بسبب حاجتهم الى الايدي العاملة لانجاز مشاريعهم العسكرية وغيرها والتي مس قسم منها مصالح المنتجين الزراعيين مباشرة • فحسب مايشير التقرير الخاص الذي رفع الى مجلس العموم واللوردات عن سير الادارة في العراق ، انجزت السلطات البريطانية في منطقتي سوق الشيوخ والعمارة مشاريع لرفع مستوى المياه في نهر دجلة وهور الحمار بقصد تسهيل الملاحة امام السفن التي كانت تزود قوات الاحتلال بالمؤن والذخيرة مما أدى - باعتراف التقرير نفسه - الى قطع المياه عن حقول الرز العائدة للعديد من العشائر المحلية في حوض دجلة (٢٦) •

لم يقتصر ثقل الضرائب الجديدة على الفلاح والريف • فان السلطات البريطانية لم تتردد في فرض الرسوم حتى « على جثث الموتى » ، والتي وضعها حاكم النجف لكونها مربحة ، اذ بلغت وارداتها في العام ١٩١٨ حوالي ٤٨ ألف روبية كان من المقرر ان ترتفع خلال عام واحد الى حوالي ١٢٢ مليون روبية (٢٧) •

بالامكان ايراد أمثلة اخرى كثيرة تبين الواقع الضريبي المجحف الذي رافق الاحتلال البريطاني للعراق والذي آثار استياء مشروعاً لدى فئات اجتماعية مختلفة • وليس عبثاً ان معظم الذين استجوبوا في

(٢٦) راجع : ل . ن . كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية - التحررية ، ص ٦٧ - ٧٠ •

(٢٧) للتفصيل راجع : الدكتور عبدالله الفياض ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ٢٢٢ •

السماعة يتذكرون جيداً بأن الإنكليز كانوا يأخذون عن النخلة الواحدة ما يعادل ١٦ فلساً، بينما كان العثمانيون يأخذون عن الشجرة نفسها ٦ فلوس فقط (٢٨) . ومما كان يزيد من ثقل الضرائب بالقياس مع ما كان سائداً في العهد العثماني السياسة المركزية التي اتبعها الإنكليز في جمعها، بحيث قلت بشكل ملموس فرص التهرب عن الدفع أو التحايل أثناء التخمين الذي كان يجري قبل الدراسة عادة . فاذا كان ٢ الى ٤ من الضبطية الذين كانوا دوماً « في فقر وضيق » والذين « لم يتناول أحدهم بالسنة أكثر من راتب شهرين أو ثلاثة اشهر » يزاولون جمع الضرائب في معظم المناطق الكردية التي كانت تتهرب أصلاً عن دفع ما يترتب عليها أو تكتفي بجزء قليل منه (٢٩) ، فإن الإنكليز، باعتراف إحدى مجلاتهم، بدأوا يستعينون حتى بالطائرات لتحقيق نفس الهدف (٣٠) . ويتذكر معظم الذين استجوبوا في

(٢٨) رجاء أحمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين » . ذكر النلاح طاهر لبد بدير ، البالغ من العمر حوالي ٨٥ عاماً ، ان الإنكليز فرضوا الضريبة على كل شيء ، « حتى على حلالة التمر الموجودة بالشارع » وعلى « التخت الموجود أمام المقهى » . ولا يخلو من معنى ان رؤساء العشائر الكردية كانوا يؤكدون في مراسلاتهم الخاصة مع الإنكليز بعد الاحتلال على موضوع الضرائب وضرورة تنظيمها (راجع مثلاً : F. O : 371 / 5069) .
 (٢٩) صديق الدمولوجي ، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية ، موصل ، ١٩٥٢ ، ص ٨١ ، ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣٠)

((The Near East and India)) , November 23, 1922,
 PP. 149—150.

السماعة كيف ان الانكليز استخدموا اليهود لتخمين الضرائب ،
وكيف ان هؤلاء كانوا يؤدون مهمتهم بدقة لا متناهية ، بل ان
بعضهم لم ينس حتى اليوم اسم « ساسون افندي » الذي كان يحسب
حساب الحجة الواحدة • كما يتذكرون جيدا ان التهرب من دفع
الضريبة كان يكلف المتهرب اكسائه ملابس حمراء والطواف به في
سوق المدينة اهانة له وعبرة للاخرين (٣١) •

ومن المهم ان نشير بهذا الصدد الى انه تتوفر بين وثائق الثورة
نفسها ما يؤكد صراحة التأثير المباشر للعامل الاقتصادي ، ولا سيما
سياسة المحتلين الضريبية ، في اثارة حفيظة الناس • فقد كتبت جريدة
« الفرات » في عددها الخامس ، وهي تخاطب الحاكم المدني العام ،
ما نصه :

« لقد هدمتم هذا الركن بمقالع من السياسة التي اهلكت الحرث
والنسل وأتت على الاخضر واليابس ، فتراب كل منطقة يشهد بانكم
سلبتم الحب حتى من منقار الطائر ، واستخرجتم الخ من العظم ،
وضاعفتم الخراج أضعافا للزراع فأصبحوا يسألون الناس الحافا وانتم
تسألونهم فوق الجهد وتكلفون نفوسهم فوق الوسع ، أهذا

(٣١) رجاء احمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين » •

(٣٢) « الفرات » ، العدد الخامس ، ٢ محرم ١٣٣٩ (١٥ أيلول
١٩٢٠) •

غدلكم ؟ » (٣٢) *

وجه الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية منذ التصف الثاني من القرن التاسع عشر ضربة مميتة الى الانتاج الحرفي في كل البلاد والذي لم يتوقف بسبب ذلك عند حد عدم استطاعة الانتقال الى مرحلة أعلى حسب ، بل اخذ يتقلص بسرعة كبيرة ايضا . وبفضل الاحتلال زالت نهائيا العوائق الجزئية السابقة امام الربط النهائي لاقتصاديات العراق بعجلة العالم الرسمالي ، مما تحول ، مع سياسة الانكليز الضريبية ، الى القشة الاخيرة التي قصمت ظهر هذا الفرع الاساس من حياة البلاد الاقتصادية . ولم تختلف المنطقة الكردية في ذلك عن بقية المناطق الا في بعض التفاصيل الجزئية . فاذا انخفض عدد أنواع النسيج في بغداد خلال نصف قرن من ١٢ ألف الى مئات قليلة فقط ، فمن المائة والخمسين من محلات تصليح الاسلحة وتعبئة الخراطيش التي شاهدها مارك سايكس عام ١٩٠٢ في مدينة السليمانية (٣٣) لم يبق فيها بعد الحرب سوى محل أو محلين فقط سرعان ما اختفيا بدورهما *

لم تقتصر مظاهر تردي الوضع الاقتصادي في العراق بعد الاحتلال على ما سبق ذكره . فان الانتاج الزراعي قد انخفض من

(٣٢) راجع :

C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs: Politics travel and research in North—Eastern Iraq, London, 1957, P. 80.

جاءت العمليات الحربية وتجنيد الفلاحين وهلاك عدد كبير من قوى الانتاج ووسائله ، بما في ذلك المواشي ، الى ربع ما كان عليه عشية الحرب ، ولم يستعد مستواه السابق الا في أواسط العشرينيات . وقد أدى ذلك ، مع مجموعة عوامل اخرى سبقت الاشارة الى قسم كبير منها ، الى حدوث ارتفاع كبير في اسعار الحاجيات الضرورية . فقد ارتفعت اسعار الحبوب بمقدار ١٥ الى ٢٥ مرة والشاي بمقدار ٣ مرات والسكر بمقدار ٥ مرات . وكان معظم هذه الحاجيات توزع بواسطة البطاقات وبكميات قليلة للغاية (٣٤) . وارتفعت اسعار بعض الحاجيات المتوفرة ، مثل الاسماك ، بمقدار ٤ مرات ، مما اعتبره الناس « مضرا الى اهالي البلد والفقراء » حسبما ورد في عريضة بعض السماكين الى المسؤولين الانكليز (٣٥) . وقد انعكس جوع الناس في اهزوجات تلك الايام .

وكان من الطبيعي أن تعاني المناطق الكردية من آثار كل ذلك بقوة ، ولا سيما ان اكثريتها فقدت جراء الحرب ما لا يقل عن ثلثي سكانها (٣٦) والجانب الأكبر من دورها ومبانيها . فعلى سبيل المثال

(٣٤) راجع : الدكتور محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ١٥ ؛ علي آل بازركان ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
(٣٥) م . و . و . ، رقم الملف
125/514 (Fish Tax, 1915—1918)

(٣٦) راجع :

A. T. Wilson, Loyalties Mesopotamia 1914—1917.
A personal and historical record, London, 1930,
P. 226; C: J: Edmonds. Op: Cit., P. 81;

=

بلغ الخراب في السليمانية حد ان تقريرا رسميا بريطانيا يحمل تاريخ ١٦ آذار ١٩١٩ اقترح ترك المدينة نهائيا وبناء اخرى جديدة بالقرب منها . وقد عرض التقرير نفسه ما أصاب السليمانية بهذا الشكل :

ما زال من الوجود خلال الحرب	١٩١٨	١٩١٣	
١٩	١٠	٢٩	الجوامع
٣	-	٣	التكايا
١	٢٠	٢١	الخانقاهات
١٨١٣	١٨٣٢٩	٣٢٠٥	الدور
٤٢٢	٣٣٨	٧٦٠	الحيوانات
١٦	١٥	٣١	المقاهي
٥	٦	١١	الحمامات
٥	١٩	٢٤	الطواحين المائية
١٣	٥	١٨	البيساتين
٩	١١	٢٠	الخانات
٤	٢	٦	الاسواق
(٣٧) ٢٦٥	١٣٤	٣٩٩	الدكاكين في هذه الاسواق

م. س. لازارييف ، كردستان و المشكلة الكردية (من
تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، موسكو ،
١٩٦٤ ، ص ٣١٤ .

(٣٧) م . و . و ، الملف

25/01 (Sulaimaniyah — Municipality, 1920)

وقد جاء في احدى البرقيات المرسلة الى بغداد من السلیمانیة بعد دخول الانكليز فيها ان « ٨٠٪ من سكانها قد اختفوا وان معظم المدينة عبارة عن خرائب . اما الانتاج العام للمنطقة فقد انخفض في حدود ٨٠٪ ، اذ يباع طن القمح بـ ١٦٠٠ روبية والرز بـ ٢٤٠٠ روبية » (٣٨) .

ولم يقتصر الامر على مثل هذا الخراب الفظيع . فقد فقدت معظم المناطق الكردية جانبا كبيرا من دوابها ومواشيها ، كما تركت اكثر من ٥٠٪ من أراضيها الزراعية المستغلة قبل الحرب بورا مثل غيرها . وهذا يفسر لنا لماذا ان الغلاء لم يبلغ في أي جزء من العراق مستوى ما بلغه في منطقة السلیمانیة باعتراف المصادر الرسمية نفسها (٣٩) .

وعلى الغرار نفسه تتوفر شواهد عديدة تبين التشابه القريب من المطلق بين الاوضاع الثقافية والاجتماعية في المنطقة الكردية وما كان سائدا في بقية انحاء البلاد في ظل الاحتلال . فقد شهدت تلك المنطقة لأول مرة السماح رسما لبعض الممارسات المنافية للقيم الروحية السائدة في العالم الاسلامي ، كمنح الاجازات لبيع الحشيشة علنا ، وتعاطي البغاء وما شابه ، مما أثار قطاعات واسعة من الناس بشكل ملموس . وقد

(٣٨) م . و . و . ، الملف

. 67/17 (Sulaimaniyah, Scarcity: 1918)

(٣٩) راجع : « العرب » ، ٣ ايار ١٩١٩ .

ذهب أحد المؤرخين الاكراد الى القول ان الباديني (٤٠) ظل «تمسكا بتقاليد السامية وعاداته العالية ، وسجاياه الحميدة الى أيام الاحتلال الانكليزي سنة ١٩١٨ ، حيث بدأت الرذائل والاخلاق الفاسدة تتسرب الى هذه البلاد شيئا فشيئا ، وتدب بين أهلها تدريجيا ، لاسيما بعد أن دخل المسلمون البادينايون الجيش الانكليزي الليفي (٤١)» (٤٢) .

تكررت في كردستان نفس صورة التعنت والتعالي للحكام والضباط السياسيين الانكليز الذين اثاروا بتصرفاتهم استياء مختلف الفئات الاجتماعية في الوسط والجنوب (٤٣) . فاذا كان رجال حاكم النجف السياسي كرينهاوس (Greenhouse) يستعملون السوط حينما كان يمر لفتح الطريق امامه ، فان زميله الميجر سون كان يعيد

(٤٠) نسبة الى سكان منطقة بادينان الممتدة الى الشمال من الموصل .
(٤١) « الليفي » (Levy) اي المجندون ، قوة عسكرية شكلتها السلطات البريطانية لتحل محل قواتها العاملة في العراق وذلك بهدف تقليص مصروفاتها العسكرية في البلاد . كان من المقرر ان يكون ضباطها من الانكليز وجنودها من السكان المحليين .
(٤٢) أنور المائي ، الاكراد في بهدينان ، الموصل ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٤٣) لا يزال المسنون في العديد من المناطق يتذكرون جيدا ما اتبع المسؤولون الانكليز من أساليب قظة في تعاملهم مع الناس . يقول الفلاح خفيف حلالي من الوركاء والبالغ من العمر حوالي ٩٠ عاما ، ان « الانكليز صاروا كالذئب الستي تنهش الناس لذئب ارتكبهوه او بدون ذئب » (رجاء أحمد، بحث ميداني عن « ثورة العشرين ») .

الشيء نفسه بفظاظة أكبر في السلمانية ، ويفرض غرامات يومية على عدد من الناس البسطاء بحجج واهية ، بل كان يجبر الجميع على أن يرفعوا فروض الطاعة لاصغر موظف لديه . فكان مساعده عزيز خان الحاكم بأمره ، يتصرف كما يشاء بخشونة وتعال غدا حديث أهل المدينة (٤٤) ، كما كان يستغل منصبه لجني اكبر الارباح غير المشروعة الممكنة . ووصولاً لهدفه ابتدع عزيز خان هذا اساليب لم يألفها سكان السلمانية ، من قبيل بيع حاجة ما بواسطة اليانصيب (٤٥) ليحصل عن طريقه على أضعاف ثمنها الحقيقي .

جعلت تصرفات الميجرسون ومساعده عزيز خان من مدينة السلمانية تغلي غيظاً ، حسبما يروي رفيق حلمي في مذكراته (٤٦) . وقد اضطر العديد من الوطنيين الكرد الى ترك مناطقهم تحت ضغط

(٤٤) من الجدير بالذكر ان عزيز خان هذا كان امياً ، لا يعرف القراءة والكتابة . عن تصرفاته وصداهما بين الناس راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٤٥) راجع : «بينسكهوتن» ، ٦ ايار ١٩٢٠ .
 (٤٦) رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧ - ١٠٩ . عن تصرفات الميجرسون راجع كذلك : «خه باتي كهلي كورد له يادداشتته كاني (نهحمه ده قهي) دا . لابه ره بهك له شورشه كاني شيخ مهحمود وسمكو وهه ستانه كهي ره واندر ، ريكخستن وئاماده كردني بو جاب : جهلال ته قهي ، به غدا ، ١٩٧٠ ، ل ٢٥ - ٢٦ ، ٣٤ - ٣٥ (نضال الشعب الكودي في مذكرات احمد تقوي . صفحة من ثورات الشيخ محمود وسمكو وانتمفاضة رواندوز ، اعداد جلال تقوي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ٣٤ - ٣٥) .

سون ، واللجوء الى مناطق اخرى ، منهم الوطني المعروف محمود جودت (٤٧) . ومن الطريف أن تشير هنا الى انه لم يمض وقت طويل عندما الحق كرينهاوس نفسه بالميجر سون ليصبح مساعدا له في الادارة والفظاظة معا . وقد امتدت اثار الاخيرة لتشمل شخص الشيخ محمود (٤٨) . ولم تكن تصرفات الكابتن وايلي في العمادية بأحسن من ذلك ، مما كان له وقع مشابه على سكان هذه المنطقة (٤٩) . وكما يروي معاصرو تلك المرحلة زاول جنود الليفي في منطقة بادينان صنوف المظالم باسم «الانتقام من البادينيين» مما ولد في نفوسهم « كثيرا من العداوة والكراهة والسخط » (٥٠) .

وقد ورد في تقرير لـ « جمعية العهد - فرع الموصل » رفعته في ١٤ اب ١٩١٩ الى المركز ، مايلي تعقيا على الاعتداء الذي تعرض له احد الشيوخ النقشبنديين مع افراد اسرته : « نكتب اليكم هذا ونحن على أشد مانكون من القلق على هؤلاء الشيوخ . . . فلم يتورع الانكليز عن المضي في اذلال كل عزيز والتكيل بكل رئيس لايقاد اليهم انقيادا أعمى ، أو لاينصاع الى أوامرهم كما يروق لهم ، وهم في الوقت نفسه

(٤٧) راجع : « نضال الشعب الكردي في مذكرات احمد تقى » ،

ص ٤٨ .

(٤٨) نفس المصدر ، ص ١٥ .

(٤٩) راجع : عبد المنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ -

١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ - ١٩٢٠ م) ، الجزء الاول ، بغداد ،

١٩٦٦ ، ص ٤٢ .

(٥٠) راجع : انور المائي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

لا يريدون أن يروا ذا نفوذ لا يستطيعون استغلاله لمآربهم وان كان ذلك
النفوذ معنويا أو روحيا، كما هو النفوذ الذي يتمتع به حضرة الشيخ
بهاء الدين أفندي النقشبندي « (٥١) » .

ولم يمر أكثر من اسبوعين عندما أخبرت الجمعية مركزها بما
يلي : « أوقف الانكليز قبل مدة سعيد اغا وابنه وبعض رفاقه في أربيل
لقتلهم شايشا انكليزيا وجرح شرطيين أحدهما انكليزي والآخر
عراقي مستخدم عند الانكليز واثنين من الدرك ، كما جرح بضعة
أفراد من رجال سعيداغا ايضا وذلك بسبب الضرب والاهانة التي
الحقها ذلك الجاويش بأبن سعيد اغا عندما كان جالسا في التياترو قبل
وقوع الحادثة بيوم » (٥٢) .

وبامكان وثيقة اخرى تعود للجمعية نفسها اعطاء ابلغ صورة عن
واقع تصرفات الحكام الانكليز مع الناس في المنطقة الكردية . جاء في
الوثيقة المذكورة التي تحمل تاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ مايلي نصا:
« لم تترك الحكومة الاحتلالية شيئا من انواع الشدة والقسوة
الا واستعملته مع الاهلين ، وان ادنى خطأ يصدر من أحد الناس يكون
جزاؤه الضرب على عجزه مجردا عن الثياب حتى ان الدم كثيرا ما كان

(٥١) راجع : «صدى الاحرار» ، الموصل ١٣ شباط ١٩٥٣ . نشر
أحد معاصري تلك الفترة سلسلة مقالات مهمة في جريدة « صدى
الاحرار » باسم مؤرخ ، يخص جانب كبير من المعلومات الواردة
فيها احداث كردستان .

(٥٢) راجع : « صدى الاحرار » ، ٢٠ شباط ١٩٥٣ .

يتطير من جسده وتبقى مواضع السياط قروحا لاتمدل مدة طويلة •
أما الجزءء القدي الذي قد شكل أعظم منبع لواردات حكومة الاحتلال
فان المحكومين يعدونه نعمة كبرى ازاء العذاب الجسماني والحقارة
التي توجه اليهم بتشغيلهم بالاشغال السافلة • وياليت جميع المجرمين
في نظر الانكليز هم مجرمون حقا ! ، فكم من اناس ذاقوا عذاب
السجن مدة طويلة من دون أن يوقف لهم على ذنب ولم تحكمهم
محكمة • من ذلك سجنهم لثمانية عشر رجلا من الكويان (٥٣) من
الذين لم يكن لهم علاقة بوقائع الجبال ، انما كانوا مقيمين في الموصل
منذ مدة ويشغلون بمهنة الجمالة ، ولم يطلق سراحهم الا بعد ان
نقل الحاكم السياسي الكولونيل لجمن من الموصل الى منطقة الدليم
وحل محله الكابتن بيل « (٥٤) » •

والواقع ان مثل هذه التصرفات التي عانى منها الشمال مثل
الوسط والآخر مثل الجنوب هي التي دفعت جريدة «الفرات» لتكتب عن
الانكليز في افتتاحيتها « ضلال الانكليز ونظرة في مجلس المبعوثين »
مثل الأقوال الجارحة التالية :

« شاهدنا قوما ليسوا من البشر افسدوا البلاد واضطهدوا العباد
وسحقوا القوانين العامة وهتكوا حرمة الشرايع الموضوعة وهدموا دعائم

(٥٣) عشيرة كردية تقطن في شمال زاخو ، وهي اول جماعة حملت
السلاح ضد الانكليز في كردستان كما نعود الى تفاصيله فيما
يعد •

(٥٤) « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٤ •

النظام الاجتماعي الجديد . . . قلب صفحات التاريخ القديم والحديث
فلا تجد سوى الانكليز افسدوا النظام واسقطوا حقوق الانسان ، فلا
حرية ولاطمأنينة ، ونزعوا الملكية وهي من حقوق الانسان المقدسة
لأنها من لوازم الحرية والمساواة ، نعم فهم كما اسقطوا حقوق الانسان
المدنية اسقطوا حقوقه السياسية ، فعاد ولا حق له ، محروما من كل
مميزاته ، محروما من عمومياته وذاتيته . فان حكومة الاحتلال
شاءت « ان ترينا كل يوم نوعا جديدا من الباطل » .

وبعد أن تستعرض الجريدة في مقال آخر تحت عنوان « مكر
الانكليز في العراق » « جور الانكليز واعتسافهم » تقول : « هنا تظهر
الحرية باجلى مظاهرها ، فسلام على القرون الوسطى والاجيال
الفرعونية ، وصلوات على جنكيزخان وتيمور وامم الهون ! اللهم انك
تعلم انهم أرق عاطفة وأحسن قلبا من قساة الانكليز وبرابرتهم » (٥٥) .
وقد بينت « الفرات » قبل ذلك لماذا طفح الكيل ، وبلغ الاستياء
مبلغه ، فقد « اشتد الظلم حتى بلغ منتهاه ونفذ صبر الامة مما تلاقيه
كل يوم من جور حكام الاحتلال » (٥٦) .

ولم يكن الوضع الثقافي البأس في المناطق الكردية سوى صورة
مصغرة لما كان يسود بقية أرجاء البلاد . فان الانكليز خصصوا

(٥٥) « الفرات » ، العدد الرابع ، ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ (٢٨ اب
١٩٢٠) .

(٥٦) « الفرات » ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب
١٩٢٠) .

لاحتياجات التعليم في كل العراق خلال السنة المالية ١٩١٩ - ١٩٢٠
مبلغا يعادل حوالي ٧٠ ألف ليرة تركية ، أي أقل من ضعف ماخصه
العثمانيون لولاية بغداد وحدها في العام ١٩١١ - ١٩١٢ ، مما أدى الى
أن يتقلص عدد المدارس الرسمية والاهلية في البلاد الى نصف عددها
في العام ١٩١٤ . لذا لاغرابة في أن سلطات الاحتلال اغلقت في مدينة
الموصل مدرسة لاعداد المعلمين واخرى ثانوية ، مع عدد من المدارس
الابتدائية تعود الى العهد العثماني (٥٧) بحجة « فقدان المعلمين
القديرين » (٥٨) .

وبامكان بعض الامثلة المستقاة من المنطقة الكردية تجسيد هذا
الواقع المزري بشكل معبر للغاية . فان الميجرسون كان يصرف على
التعليم لكل منطقة السليمانية ومن وارداتها بالذات ٦٣ ألف رويية
سنويا ، وهي أقل مما خصه للقوات الخاصة والشرطة اللتين اسسهما ،
بمقدار حوالي ٢٠ مرة (٥٩) ، ويعادل حوالي ٣٪ فقط من مجموع
واردات المنطقة للعام ١٩٢٠ (٦٠) . لذا ليس من الغريب أبدا أن

-
- (٥٧) راجع : «صدى الاحرار» ، ٣ نيسان ١٩٥٣ .
(٥٨) راجع : « العرب » ، ٣ ايار ١٩١٩ . اننا لا نقصد من هذه
المقارنات القول بان وضع التعليم في العهد العثماني كان جيدا ،
انما نريد ان نبين ان الوضع انتقل من سيء الى أسوأ ، على
الاقبل بعد الحرب مباشرة ، مما تحول الى عامل استياء ، وذلك
بغض النظر عن أسبابه .
(٥٩) خصص سون لهما اكثر من مليون رويية .
(٦٠) راجع التقرير السنوي عن واردات السليمانية في « بيشككوتن » ،
٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ .

تلاحظ اللوحة «المعبرة» التالية : في العام ١٩١٥ شكل عدد الطلاب في مدينة السليمانية وحدها ١٠٪ من مجموع الطلبة في كل العراق ، بينما لم يبلغ مجموع طلبة المنطقة الكردية بأسرها عددا يشكّل مثل هذه النسبة بعد الاحتلال . فبعد الحرب فتح الانكليز مدرسة واحدة فقط في السليمانية ، وذلك في شباط ١٩١٩ (٦١) ، بينما بلغ عدد مدارسها الحكومية في أواخر العهد العثماني مدرستين ابتدائيتين ومدرسة اعدادية واحدة مع « الرشدية العسكرية » ، بلغ مجموع طلابها ٣٣٠ طالبا يقوم بتدريسهم ٢٠ معلما (٦٢) . وقد تقلص عدد طلاب الدراسة المتوسطة في المدينة نفسها من ١٦٣ في العام ١٩١٤ الى ١٠ فقط في أواخر العشرينيات . و «الابلغ» من ذلك ان مجموع عدد الطلاب في المدارس الكردية بلغ في ظل الانتداب ١٥٤٥ طالبا فقط يقابلهم ٦٣٠٠ طالب في المدارس المسيحية و ٨٤٠٠ طالب في المدارس اليهودية (٦٣) .

- (٦١) راجع : « العراق » ، ٣ ايار ١٩١٩ .
(٦٢) راجع : محمد أمين زكي ، تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل بندي الروزباني ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص ٢١٠ .
(٦٣) جرى حساب هذه الارقام بالاستناد الى المعلومات الواردة في : عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، ١٦٣٨ - ١٩١٧ ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ١٨١ ؛ محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ - ٢١٠ : « العالم العربي » بغداد ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٣١ ؛ رفيق حامي ، مقالات ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٧١ ؛

((Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on

توجد مجموعة عوامل أخرى اسهمت بشكل جدي في تهيئة الظروف الموضوعية لانفجار «ثورة العشرين» ، والتي كانت ذات طابع عام من حيث تأثيرها على العراقيين • ويأتي الشعور الديني على راس تلك العوامل قاطبة • بل ان دوره في اثارة الناس كان كبيرا الى حد دفع معظم المؤرخين العراقيين الى اعتباره العامل الاول في تاجيج نار التمرد ضد الاحتلال الاجنبي في نفوس الجماهير • وفي الواقع ان العديد من مسؤولي الانكليز اساءوا التصرف في تعاملهم مع رجال الدين ونظرتهم الى العتبات المقدسة في البلاد والتي امتدت ايديهم حتى الى مواردها المالية • ولقد ورد في تعليق لجريدة «الفرات» على موقف المحتلين من القضايا الدينية ما يلي :

« اي دولة حرة قبل انكلترا منعت انعقاد المواليد الدينية ، وأي رؤساء ادارة أو سياسة أو جندي تجاسروا قبل قواد الانكليز هؤلاء على خرق حرمة هذا القانون المتبع • وهب ان في رجال السياسة او الادارة أو الجندي نفوسا جبلت على الوحشية فهي تميل الى العبث بالقوانين الحرة العامة ، فمن الصلح ان تدعي المدينة مع ذلك ••• » (٦٤) •

the progress of Iraq during the period 1920 — 1931)) , London, 1931, PP. 232 — 234; ((Report by His Majesty's Government on the administration of Iraq for the period April 1923 — December 1923)) PP. 201, 217.

(٦٤) «الفرات» ، العدد الرابع ، ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ (٢٨ اب ١٩٢٠) • حوالي نصف صفحات هذا العدد من الجريدة كرس لهذا الموضوع بالذات •

وفي الواقع تركت فتاوى رجال الدين وتعليماتهم تأثيراً أكبر على بسطاء الناس من أي عامل روحي أو أدبي آخر ، ولاسيما انها جاءت في توافق مع مهمات المرحلة التاريخية • وليس مجرد صدفة ان كل الذين استجوبوا في السماوة اكدوا بشكل خاص على تأثير العاطفة الدينية الكبير في دفعهم الى حمل السلاح ضد سلطة الاحتلال • وقد اعتبر معظمهم الانكليز كفارا ، كما ذكر بعضهم صراحة انهم « ماكانوا يفهمون معنى الاستقلال يومذاك » ، لكنهم اعتبروا « الجهاد ضد الانكليز واجبا » لكونهم « اجانب وكفارا » (٦٥) •

ومع ان فتاوى رجال الدين لم تكن تصل - حسب معلوماتنا(٦٦)- الى المناطق الكردية ، الا ان الشعور الديني لعب هنا ايضا دوره الكبير في اثارة الناس ضد الانكليز • ثم ان رجال الدين الاكرد انفسهم لم يكن لهم دور قليل في هذا المجال ، فقد اشترك عدد كبير منهم بحماس في النضال المعادي للاستعمار سواء في العشرينيات أو بعدها • وأخيرا لم تكن معظم اجراءات الانكليز تجاه القضايا الدينية بخافية على الاكرد • فان جريدة «يشكهوتن» ، مثلا ، نشرت القرارات التي اتخذتها ادارة الاحتلال في بغداد بصدد منع عقد الاجتماعات الدينية وتشكيل محكمة عسكرية خاصة « لانزال أشد العقوبات بحق

(٦٥) القول لبادي عنوان (كاسب وعامل سابق) ، في حدود الخامسة والثمانين من العمر (رجاء أحمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين ») •

(٦٦) استفسرنا العديد من الجيل السابق عنها •

كل مخالف « لتلك القرارات » ثم نشرت تحت الخبر ، وعن قصده واضح ، نبأ « اصدار المحكمة العسكرية حكم الموت بحق اربعة اشخاص من المفسدين الذين نفذ فيهم الحكم » (٦٧) .

لم تكن « ثورة العشرين » من الاحداث التاريخية التي يمكن حصرها في اطار داخلي ضيق . ولاشك في أن أي محاولة من هذا القبيل (٦٨) تعتبر تجنيا على الثورة نفسها لا لانها تتعارض كلياً مع المنطق حسب ، بل وكذلك لانها تنافي كل المؤلف في تاريخ الشعوب . فان « ثورة العشرين » ، وفي ضوء قانون الترابط الأفقي بين الاحداث ، تأثرت بأحداث خارجية وأثرت في احداث خارجية بدرجات متفاوتة حتمتها ظروف الزمان والمكان . وكان من الطبيعي ان تتأثر الثورة على الصعيد الخارجي بأحداث المنطقة نفسها (الحجاز ، سوريا ، مصر ، تركيا وايران) قبل أي شيء آخر . وتأتي بعد ذلك تأثيرات أخرى ، وعلى رأسها انتصار اول ثورة اشتراكية في العالم .

وقبل الخوض في صلب الموضوع يجدر بنا ان نشير الى أن التأثيرات المتبادلة بين الوقائع التاريخية الكبيرة المعاصرة لاحتجاج ، بالضرورة ، الى شواهد مادية ملموسة ، فانها قد تفعل فعلها بصورة غير مباشرة ، أو عن طريق التأثير في تناسب القوى على صعيد منطقة

(٦٧) « بيشكهوتن » ، ١٩ اب ١٩٢٠ .

(٦٨) راجع مثلاً : ستار جبر ناصر ، المصدر السابق ، ص ٧٤-٨٥ ؛ الراصد التقدمي ، ثورة العشرين . البعد القومي والاهداف الوطنية ، - « العراق » ، ٢٩ حزيران ١٩٧٨ .

محددة أو شاملة • ولتقريب الموضوع الى الاذهان أكثر نورد مثلاً واحدا له صلة بثورة العشرين نفسها • فان الاخيرة أثرت حتما على الحركة الوطنية في ايران ، وربما لاتتوفر أدلة مادية تبين هذه الحقيقة التاريخية على شكل صورة محددة الابعاد • ولكن الا يكفي أن اضطرار الانكليز الى سحب ما لا يقل عن ١٤ ألف رجل من قطعاتهم العاملة في ايران قد سهل الى حد ما مهمة الحركة الوطنية للشعب الايراني الذي كان يخوض نضالا عادلا ضد المعاهدة الانكلو - ايرانية للعام ١٩١٩ (٦٩) ، وان ذلك اثر على موقف الانكليز بشكل أو بآخر • وحتما ان المئات من الزوار الايرانيين كانوا ينقلون معهم ما يشاهدون من مظاهر الاستياء السائدة في العتبات المقدسة •

ولكن بغض النظر عن هذه الحقيقة الثابتة فان سجل « ثورة العشرين » ، والحركة الوطنية العراقية في تلك المرحلة ككل ، مليء بالشواهد والوثائق التي تجعل من أمر تآثر قطاع مؤثر من الوطنيين العراقيين بالاحداث والمتغيرات العالمية حقيقة مسلمة • فقد ذكرت جريدة «الفرات» ، لسان حال الثوار ، في عددها الاول ما يشير الى

(٦٩) وقعت هذه المعاهدة بين الطرفين في طهران يوم ٩ اب ١٩١٩ عندما كان وثوق الدولة ، المعروف بمولاته للانكليز ، رئيسا للوزارة الايرانية • وقد أثارت بنودها استياء شعبيا عاما انعكس في موجة من المظاهرات والانتفاضات بلغت اوجها في العام ١٩٢٠ ، ولا سيما في المناطق الاذربيجانية ، وقد بذل الانكليز جهودا كبيرة للقضاء على المعارضة الوطنية الايرانية •